تعريف موجز

بالكتاب المقدس

«القرآن»

إعداد: ماجد بن سليمان

أبريل ، ٢٠١٤

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، أما بعد:

فقد أرسل الله مع كل رسول كتابا ، قال الله تعالى ﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان﴾[1] ، وقال الله تعالى ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبين من بعده وأوحينا على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا﴾[2] .

وهذه الكتب أنزلها الله تعالى على رسله رحمة للخلق ، وهداية لهم ، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

وقد أوجب الله تعالى الإيمان بجميع الكتب المنزلة ، قال تعالى ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[3] .

والمقصود بالإيمان بالكتب في الآية هو الإيمان بها على وجهها الذي أنزلت به على الأنبياء قبل التحريف ، وإلا فمن المعلوم أن جميع الكتب المنزلة قد أصابها التحريف والتبديل إلا القرآن ، قال تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[4] .

فصل في بيان ما يتضمنه الإيمان بالكتب السماوية

الإيمان بالكتب يتضمن خمسة أمور[5] ، نذكرها على سبيل الإجمال ثم نفصل القول فيها:

الأول: الإيمان بأنها أُنزلت من عند الله حقاً.

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها.

---

[1] سورة الحديد: ٢٥ .

[2] سورة النساء: ١٦٣ .

[3] سورة البقرة: ١٣٦ .

[4] سورة الحجر: ٩ .

[5] يراجع «شرح ثلاثة الأصول» لابن عثيمين رحمه الله ، ص ٩٤ ، فقد ذكر الشيخ أربعة أمور ، ومنَّ الله بواحدة.

الثالث: تصديق ما صحَّ من أخبارها.

الرابع: العمل بأحكام ما لم يُنسخ منها.

الخامس: الإيمان بأنها تدعو إلى عقيدة واحدة وهي التوحيد.

تفصيل

الأول: الإيمان بأنها أُنزلت من عند الله حقاً ، كما قال تعالى في وصف المؤمنين ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾ ، وقال تعالى ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾[١] .

الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها ، وهي ستة ، صحف إبراهيم وموسى ، والتوراة التي أنزلت على موسى (صلى الله عليه وسلم)[٢] ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى (صلى الله عليه وسلم) ، والزبور الذي أوتيه داود (صلى الله عليه وسلم) ، والقرآن الذي أنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وبعض العلماء يقول إن صحف موسى هي التوراة فتكون خمسة.

وأما ما لم يأت ذكر اسمه من تلك الكتب فنؤمن به إجمالاً.

الثالث: تصديق ما صحَّ من أخبارها ، كأخبار القرآن ، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة ، (فالقرآن قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر ، وزاد ذلك بيانا وتفصيلا ، وبَيَّن الأدلة والبراهين على ذلك ، وقَرَّر نبوة الأنبياء كلهم ، ورسالة المرسلين ، وقرَّر الشرائعَ الكلية التي بُعثت بها الرسل كلهم ، وجادل المكذبين بالكتب والرسل بأنواع الحجج والبراهين ، وبَيَّن عقوبات الله لهم ونصره لأهل الكتب المتبعين لها ، وبَيَّن ما حُرِّف منها وبُدِّل ، وما فَعله أهلُ الكتابِ (وهم اليهود والنصارى[٣] (المسيحيين)) في الكتب المتقدمة ، وبَيَّن أيضا ما

---

[١] سورة البقرة: ١٣٦ .

[٢] معنى الصلاة على النبي محمد هي ثناء الله عليه في الملإ الأعلى وهم الملائكة ، وهذا فيه زيادة تشريف وثناء عليه ، وهو يستحق ذلك ، لأن الله هدى الناس به إلى الدين الصحيح.

ومعنى (وسلَّم) هذا دعاء أيضا أن يُسَلِّمه الله من الآفات ، مثل الطعن فيه أو في زوجاته ونحو ذلك.

فيكون المعنى الإجمالي لجملة (صلى الله عليه وسلم) أي: اللهم اثنِ على نبيك محمد وسَلِّمه من الآفات.

وهذه الجملة جملة توقير واحترام ، ويجب على المسلم أن يقولها كلما مر بذكر النبي محمد ، فلا يليق بالمسلم أن يمر عليه اسم النبي محمد فلا يدعو له ، وكأنه يتكلم عن إنسان عادي.

ويستحب ذكر هذا الدعاء عند ذكر باقي الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام.

[٣] سُمِّيَ أتباع عيسى ابن مريم بذلك لتناصرهم فيما بينهم.وقيل إنهم سُمُّوا بذلك تبعا للحواريين الذين وصفوا أنفسهم بذلك ، كما قال عيسى عليه السلام: ﴿من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله﴾. وقيل

كتموه مما أمر الله ببيانه ، وكل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج التي نزل بها القرآن ، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة ، فهو شاهد بصدقها وشاهد بكذب ما حُرِّف منها ، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله ، ونسخ ما نسخه الله ، فهو شاهد في الخبريات ، حاكم في الأمريات.

ثم إنه مُعجزٌ في نفسِهِ ، لا يَقدِرُ الخلائق أن يأتوا بمثله ، ففيه دعوة الرسول ، وهو آية الرسول وبرهانه على صدقه ونبوته ، وفيه ما جاء به الرسول ، وهو نفسه برهان على ما جاء به.

وفيه أيضا من ضربِ الأمثالِ وبيانِ الآياتِ على تفضيل ما جاء به الرسول ما لو جُمع إليه علوم جميع العلماء لم يكن ما عندهم إلا بعض ما في القرآن ، ومن تأمل ما تكلَّم به الأولون والآخِرون في أصول الدين والعلوم الإلٰهية وأمور المعاد والنبوات والأخلاق والسياسات والعبادات وسائر ما فيه كمال النفوس وصلاحها وسعادتها ونجاتها ؛ لم يجد عند الأولين والآخرين من أهل النبوات ومن أهل الرأي – كالمتفلسفة وغيرهم – إلا بعض ما جاء به القرآن ، ولهذا لم تَحتَج الأمة مع رسولها وكتابها إلى نبي آخر وكتاب آخر فضلا عن أن تحتاج إلى شيء لا يستقل بنفسه غيره[1] ، سواء كان من عِلم المحدَّثين والملهمين ، أو من علم أرباب النظر والقياس ، الذين لا يعتصمون مع ذلك بكتاب منزل من السماء).[2]

(كذلك فإن القرآن فإنه مُستَقلٌّ بنفسه ، لم يُحْوِجْ أصحابه إلى كتابٍ آخر ، بل اشتمل على جميع ما في الكتب من المحاسن ، وعلى زيادات كثيرة لا توجد في الكتب ، فلهذا كان مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، يقرر ما فيها من الحق ويُبطل ما حُرِّف منها ، وينسخ ما نسخه الله ، فيقرر الدين الحق ، وهو غالب ما فيها ، ويُبطل الدين المبدل الذي لم يكن فيها).[3]

قلت: ولما كان القرآن لا يصير منسوخا كله ، ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف ؛ صار القرآن مهيمناً على الكتب السابقة.

إنهم سُمُّوا بذلك من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها «ناصرة» بفلسطين. وقيل إنهم سُمُّوا بذلك لأن عيسى خرج منها.

فعلى كل حال فوصف أتباع المسيح عيسى ابن مريم بالنصارى هو من النصرة وهو وصف طيب ، وهو مثل وصفهم في كثير من آيات القرآن بـ «أهل الكتاب» ، وهو وصف علمي ، والمقصود بالكتاب أي التوراة والإنجيل إذ كانت في وضعها الأصلي لما أُنزِلت.

[1] هكذا في المطبوع ، وأظنه خطأ مطبعي ، وصوابه: أو بغيره.

[2] باختصار من «مجموع الفتاوى» (١٧/٤٣ – ٤٥).

[3] بختصار وتصرف يسير من «مجموع الفتاوى» (١٩/١٨٤ – ١٨٥).

فصل في ثمرات الإيمان بالكتب السماوية[1]

الإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده ، حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرّع لكل قوم ما يناسب أحوالهم ، كما قال الله تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[2].

الثالثة: شكر نعمة الله في ذلك.

الرابعة: الهداية إلى الصراط المستقيم والدين القويم الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى لعباده.

الخامسة: السلامة من الضلال والانحراف والتخبط الذي يقع فيه البشر بسبب بعدهم عن شريعة الله المذكورة في كتبه المنزلة.

أعظم الكتب السماوية

وأعظم الكتب القرآن والتوراة ، فكثيرا ما يقرن الله بينهما ، وقد ورد ذكر التوراة في القرآن كثيرا ، وأفضلهما القرآن بلا شك ، كيف لا وقد جعله الله مهيمنا على كل الكتب السماوية قبله كما تقدم ، وفيه من الإعجاز ما ليس في غيره من الكتب ، وسيأتي ذكر وجوه إعجاز القرآن الكريم في الجزء الثاني من هذا الحوار المبارك ، إن شاء الله.

الحكمة من إنزال القرآن[3]

بيَّن الله تعالى في كتابه العزيز الحكمة الكبرى من إنزال القرآن في قوله جل وعلا ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾[4].

ومن حِكَم إنزال القرآن البِشارة بالثواب للمتقين والإنذار بالعقاب لمن أعرض عنه ، قال تعالى ﴿فإنما يسرناه بلسانك **لتبشر** به المتقين **وتنذر** به قوما لُدًّا﴾[5].

---

[1] استفدت جُلَّ هذا الفصل من كتاب «شرح ثلاثة الأصول» لابن عثيمين ، ص ٩٥ ، و «شرح أصول الإيمان» ، ص ٣١ ، الناشر: دار ابن خزيمة — الرياض.

[2] سورة المائدة: ٤٨ .

[3] استفدت هذا الفصل من «أضواء البيان» ، تفسير سورة ص ، قوله تعالى ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾.

[4] سورة إبراهيم: ١ .

[5] سورة مريم: ٩٧ .

ومن حِكَم إنزال القرآن تبيين الأحكام الشرعية للناس ، قال تعالى ﴿وأنزلنا إليك الذكر **لتبين للناس ما نُزِّل إليهم** ولعلهم يتفكرون﴾[1] ، وقال تعالى ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا **لتبين** لهم الذي اختلفوا فيه﴾[2].

ومن حِكَم إنزال القرآن تثبيت المؤمنين على الإيمان والهدى ، قال تعالى ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق **ليثبت الذين آمنوا** وهدى وبشرى للمسلمين﴾[3].

ومن حِكَم إنزال القرآن الحُكم بين الناس به ، قال تعالى ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق **لتحكم بين الناس** بما أراك الله﴾[4] ، أي: بما علَّمك في هذا القرآن من العلوم.

تَميُّز القرآن العظيم عن غيره من الكتب السماوية

تميز القرآن بخصائص عدة عن غيره من الكتب السماوية ، نذكر منها ثلاثة خصائص:

١. **أن فيه تبيانٌ لكل شيء** ، كما قال تعالى ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين﴾[5] ، أي نزلنا عليك القرآن فيه توضيح لكل أمر يحتاج إلى بيان ، كالعلم بأسماء الله وصفاته ، والغاية من خلق الإنسان ، وكيفية العبادات ، كما أن القرآن يرشد إلى الأخلاق الطيبة والآداب الحميدة ، كبِرِّ الوالدين وصلة الأرحام واحترام الجيران وإكرام الضيف والعطف على الفقراء والمساكين والقول الحسن ونحو ذلك.

والقرآن يأمر بحفظ الضروريات الخمس ، وهي الدين والعقل والعِرض والمال والدم.

والقرآن ينهى عن كل ما يخالف ذلك من العقائد الباطلة ، والأخلاق الرديئة ، فالقرآن ينهى عن عبادة غير الله ، والغلو بالأنبياء ، ويأمر بعبادة الله كما أمر الله ، وهذا هو دين الإسلام ، كما أن القرآن ينهى عن القبائح ، كالظلم والعدوان وعقوق الوالدين وانتهاك الأعراض والكذب والسَّرقة وغير ذلك من الأمور السيئة.

[1] سورة النحل: ٤٤ .

[2] سورة النحل: ٤٦ .

[3] سورة النحل: ١٠٢ .

[4] سورة النساء: ١٠٥ .

[5] سورة النحل: ٨٩ .

٢. ومن خصائص القرآن **أنه يهدي جميع الناس للتي هي أقوم** ، بخلاف الكتب الأخرى ، فإنها كانت تصلح لناس دون آخرين ، ففي القرآن ذكرَ المصالح التي يحتاجها جميع البشر ، وفيه حلول المشاكل العالمية.[١]

٣. ومن أعظم خصائص القرآن العظيم **أن جميع الكتب السماوية قد ضُيِّعت أو حُرِّفت إلا هو** ، فقد تعهَّد الله بحفظه كما قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ، ومن دلائل ذلك التحريف تعدد الكتب التي بأيدي أهل الكتاب — اليهود والنصارى - مع أن الله تعالى لم يُنزِّل على عيسى إلا كتابا واحدا وهو الإنجيل ، ولم ينزل على موسى إلا كتابا واحدا وهو التوراة ، ولكن لكونها لم تُحفظ فإنها حُرِّفت تدريجيا بالزيادة والإنقاص إلى أن صار كل منها كتبا وليس كتابا واحدا ، وفيها من الاختلاف والتضاد ما لا يعلم به إلا الله تعالى ، وصدق الله ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾[٢] .

ومع ذلك التحريف والتبديل ؛ فإن فيها شيئا من الحق الذي يشهد له القرآن ، كنبوة محمد[٣] (صلى الله عليه وسلم) ، وبشرية عيسى (صلى الله عليه وسلم) ، وغير ذلك من القضايا العقدية التي جاء القرآن بتصحيحها عند اليهود والنصارى ، ولكنهم لا يؤمنون بها ، إما تكبرا ، وإما جهلا ، وإما لعدم ظهور تلك الشواهد وجلائها في كتبهم المحرفة بسبب قلتها مقارنة مع ضخامة تلك الكتب وكثرة التحريف فيها ، وبكل حال فهي من الشواهد عليهم في الدنيا والآخرة.

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى في سورة المائدة عند ذكر حال الأحبار والرهبان مع الكتب المنزلة إليهم وتفريطهم في حفظها ﴿بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾[٤] ، قال رحمه الله:

أخبر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الأحبار والرهبان استُحفظوا كتاب الله يعني استُودعوه ، وطُلب منهم حفظه ، ولم يبين هنا هل امتثلوا الأمر في ذلك وحفِظوه ، أو لم يمتثلوا الأمر في ذلك وضيعوه ، ولكنه بيَّن في مواضع أخر أنهم لم يمتثلوا الأمر ، ولم يحفظوا ما استُحفظوه ، بل حرَّفوه وبدلوه عمداً ، كقوله ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه﴾ الآية ، وقوله ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾

---

[١] انظر ما قاله الشنقيطي في تفسير الآية التاسعة من سورة الإسراء في هذا الباب ، فقد تكلم عليه في نحو من خمس وخمسين صفحة.

[٢] سورة النساء: ٨٢ .

[٣] انظر كتاب «البشارات العجاب في صحف أهل الكتاب» (٩٩ دليلا على وجود النبي المبشر به في التوراة والإنجيل) ، تأليف د. صلاح الراشد ، الناشر: دار ابن حزم — بيروت.

[٤] سورة المائدة: ٤٤ .

الآية ، وقوله ﴿تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيراً﴾ ، وقوله ﴿فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله﴾ الآية ، وقوله جل وعلا ﴿وإنَّ منهم فريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب﴾ الآية ، إلى غير ذلك من الآيات ...

ثم قال رحمه الله: والقرآن العظيم لم يكِلِ الله حفظه إلى أحد حتى يُمْكِنه تضييعَه ، بل تولى حِفظه جل وعلا بنفسه الكريمة المقدسة ، كما أوضحه بقوله ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ وقوله ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ الآية ، إلى غير ذلك من الآيات. انتهى كلامه رحمه الله.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه «إغاثة اللهفان»:

ثم بعث الله سبحانه عبدَه ورسولَه وكلمتَه المسيح ابنَ مريم ، فجدَّد لهم الدين ، وبيَّن لهم معالمه ، ودعاهم إلى عبادة الله وحده ، والتبرّي[1] من تلك الأحداث والآراء الباطلة ، فعادوه وكذبوه ، ورموه وأمه بالعظائم ، وراموا[2] قتله ، فطهَّره الله تعالى منهم ، ورفعه إليه فلم يصِلوا إليه بسوء ، وأقام الله تعالى للمسيح أنصارا دعوا إلى دينه وشريعته ، حتى ظهر دينُه على من خالفه ، ودخل فيه الملوك ، وانتشرت دعوته ، واستقام الأمر على السَّداد بعده نحو ثلثمئة سنة.

ثم أخذ دين المسيح في التبديل والتغيير حتى تناسخ واضمحل ولم يبق بأيدي النصارى منه شيء ، بل ركَّبوا دينا بين دين المسيح ودين الفلاسفة عُبَّاد الأصنام ، وراموا بذلك أن يتلطفوا للأمم حتى يُدخلوهم في النصرانية ، فنقلوهم من عبادة الأصنام المجسدة إلى عبادة الصور التي لا ظل لها ، ونقلوهم من السجود للشمس إلى السجود إلى جهة المشرق ، ونقلوهم من القول باتحاد العاقل والمعقول والعقل إلى القول باتحاد الأب والابن وروح القدس.

هذا ومعهم بقايا من دين المسيح ، كالختان والاغتسال من الجنابة وتعظيم السبت وتحريم الخنزير وتحريم ما حرَّمته التوراة إلا ما أُحِل لهم بنصها ، **ثم تناسخت الشريعة** إلى أن استحلُّوا الخنزير وأحلُّوا السبت وعوَّضوا منه يوم الأحد وتركوا الختان والاغتسال من الجنابة ، وكان المسيح يُصلي إلى بيت المقدس فصلُّوا هم إلى المشرق ، ولم يُعظِّم المسيح عليه السلام صليبا قط ، فعظَّموا هم الصليب وعبدوه ، ولم يصُم المسيح عليه السلام صومَهم هذا أبدا ولا شرَعه ولا أمر به البتة ، بل هم وضعوه على هذا العدد ونقلوه إلى زمن الربيع ، فجعلوا ما زادوا فيه من العدد عِوضا عن نقله من الشهور الهلالية إلى الشهور الرومية ، وتعبدوا بالنجاسات وكان المسيح عليه السلام في غاية الطهارة والطيب والنظافة وأبعد الخلق عن النجاسة ، فقصدوا بذلك تغيير دين اليهود ومراغمتهم ،

[1] أي التبرؤ.

[2] أي: قصَدوا.

فغيروا دين المسيح وتقربوا إلى الفلاسفة عباد الأصنام بأن وافقوهم في بعض الأمر ليُرضوهم به وليستنصروا بذلك على اليهود. انتهى كلامه رحمه الله.[1]

---

[1]«إغاثة اللهفان» (٢/٢٧٠) ، تحقيق الفقي.

وقد أَلَّف بعض علماء الإسلام كتبا في تحريف الكتب السابقة ، كما أُلِّـفت بعض الرسائل العلمية ، منها:

١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.
٢. مصادر النصرانية – دراسة ونقدا ، عبد الرزاق بن عبد المجيد الأرو ، الناشر: دار التوحيد للنشر – الرياض
٣. تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ – أسبابه ونتائجه ، تأليف: بسمة جستنيه
٤. تخجيل من حرف التوراة والإنجيل ، تأليف: القاضي أبي البقاء صالح بن الحسين ، الناشر: مكتبة العبيكان
٥. النصرانية – الأصل والواقع ، تأليف: د. محمد السحيم ، الناشر: دار العاصمة – الرياض
٦. الأسفار المقدسة قبل الإسلام – دراسة لجوانب الاعتقاد في اليهودية والمسيحية ، تأليف: د. صابر طعيمة ، الناشر: عالم الكتب – لبنان

البيان في وجوه إعجاز القرآن

أيَّد الله سبحانه وتعالى رسله بآيات وبراهين ودلائل ، وهي الأمور الخارقة للعادة التي يجريها الله على أيديهم دلالة على نبوتهم ، ولئلا يبقى أمرُهم مشكلا على الناس ، فإن الناس إذا رأوا رسلهم قد أُيِّـدوا بأمور فوق قدرة البشر وطاقتهم ؛ علِموا أنهم مرسلون من عند الله تعالى ، فاستيقنوا أمرهم وآمنوا بهم وثبتت قلوبهم على الدين.

وقد سمَّى الله تعالى نفسه باسم «المؤمن» ، أي المصدق لرسله وأنبيائه بما جاؤوا به ، بالآيات البينات والبراهين القاطعات والحجج الواضحات.[1]

ومن تلك الآيات عصا موسى التي ألقاها بين أيدي سحرة فرعون فإذا هي حية تسعى ، تلقف وتلتهم ما ألقَوه من الحبال والعصي ، فآمنوا ، لأنهم علِموا أن ما أتى به موسى من عند الله وليس سحرا ، وبعد إيمانهم بقيت العصا معه ، فلما سار بقومه تجاه البحر فرارا من فرعون ضرب بهذه العصا البحر فانفلق فسار في طريق يابس مع قومه فنجاه الله ، وفي صحراء سيناء ضرب بعصاه الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا على قدر أسباط بني إسرائيل ، فعصا موسى ليست إلا آية من عند الله ليعلم الناس أنه رسول من عند الله ، فيكون حجة على من لم يؤمن ، وتثبيتا لمن آمن به (صلى الله عليه وسلم).

ومن الآيات أيضا ما أيد الله به عيسى (صلى الله عليه وسلم) ، فقد كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، ويمسح بيده على الأكمه – وهو الذي وُلِد أعمى – والأبرص فيبرآن بإذن الله ، وكان يُحيِي الموتى بإذن الله ، أفليس هذا دليل على أنه رسول من عند الله؟ بلى والله.

كما أيد الله نبيه محمدا (صلى الله عليه وسلم) بآيات كثيرة ، كلها تدل على صدق نبوته وأنه رسول من عند الله حقا ، أشهرها القرآن الكريم ، فهو الآية الكبرى الدالة على نبوة محمد ﷺ ، ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: ما مِن الأنبياء من نبي إلا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أُوتيت وحيا أوحى الله إلي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة.[2]

---

[1] قاله الشيخ عبد الرحمٰن بن سعدي رحمه الله في تفسير اسم الله «المؤمن» ، وقد ورد هذا الإسم مرة واحدة في القرآن في خاتمة سورة الحشر.

[2] رواه مسلم (١٥٢).

قال شمس الدين الذهبي رحمه الله:

هذه هي المعجزة العظمى ، وهي القرآن ، فإن النبي من الأنبياء عليهم السلام كان يأتي بالآية وتنقضي بموته ، فقَلَّ لذلك من يتَّبِعه ، وَكَثُرَ أتباع نبينا ﷺ لكون معجزته الكبرى باقية بعده ، فيؤمن بالله ورسوله كثيرٌ مِمَّن يسمع القرآن على مر الأزمان ، ولهذا قال: فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة. انتهى.[1]

وقال النووي رحمه الله في شرح الحديث:

وَقَوْله (صلى الله عليه وسلم) : (فَأَرْجُو أَنْ أَكُون أَكْثَرهمْ تَابِعًا) عَلَم مِنْ أَعْلام النُّبُوَّة ، فَإِنَّهُ أَخْبَرَ عَلَيْهِ السَّلام بِهَذَا فِي زَمَن قِلَّة الْمُسْلِمِينَ ، ثُمَّ مَنَّ اللَّه تَعَالَى وَفَتَحَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْبِلاد وَبَارَكَ فِيهِمْ ، حَتَّى اِنْتَهَى الأمْر وَاتَّسَعَ الْإِسْلام فِي الْمُسْلِمِينَ إِلَى هَذِهِ الْغَايَة الْمَعْرُوفَة ، وَلِلَّهِ الْحَمْد عَلَى هَذِهِ النِّعْمَة وَسَائِر نِعَمه الَّتِي لا تُحْصَى ، وَاَللَّه أَعْلَم. انتهى.

قال مقيده عفا الله عنه: ودلائل نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) كثيرة ، فقد ذكر ابن القيم رحمه الله في آخر كتابه «إغاثة اللهفان»[2] أنها تزيد على الألف ، وهذا من رحمة الله بعباده ، ليكون ذلك أدعى للاقتناع والإيمان بنبوته (صلى الله عليه وسلم) ، فسبحان من بهر برحمته العقول.

وفي هذا البحث المبارك – إن شاء الله – سنتكلم على وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، والتي تدل على أنه ليس من عند البشر ، بل هو من عند الله حقا.

---

[1] «سير أعلام النبلاء» ، قسم السيرة النبوية ، (٣٥١/٢٧) ، باب جامع في دلائل النبوة ، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت.

[2] ص ١١٠٧ ، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة.

تفصيل في إعجاز القرآن

القرآن الكريم مُعجِزٌ من ثمانية وجوه[1]:

الأول: بيانه وفصاحته ، فالقرآن الكريم نزل على قريش بلغتهم ، وفي زمان بلغت فيه قريش الذِّرْوَةَ في الفصاحة والبلاغة والبيان وحسن نظم الشعر ، فظنوا في أول الأمر أنهم يستطيعوا الإتيان بمثله فقالوا ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾[2] ، فنزل القرآن بتحديهم على ثلاثة مراحل ؛ الأولى أن يأتوا بمثله[3] ، والثانية أن يأتوا بعشر سور مثله[4]، والثالثة أن يأتوا بسورة مثله[5] ، فعجِزوا مع شدة حرصهم على مغالبة القرآن وقوة فصاحتهم ، فقطع الله طمعهم إلى قيام الساعة في قوله تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾[6].[7]

وقال ابن تيمية رحمه الله:

والقرآن آيته باقية على طول الزمان من حين جاء به الرسول ، تُتلى آيات التحدي به ويتلى قوله ﴿فليأتوا بحديثٍ مثله إن كانوا صادقين﴾ و ﴿فأتوا بعشر سورٍ مثله﴾ و ﴿بسورةٍ مثله وادعوا من استطعتم من دون الله﴾ ، ويُتلى قوله ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً﴾ ، فنفس إخبار الرسول بهذا في أول الأمر[8] وقطعِه بذلك مع علمه بكثرة الخلق دليل على أنه كان خارقاً يعجز الثقلين عن معارضته ، وهذا لا يكون لغير الأنبياء.

---

[1] قولي إنها ثمانية ليس على سبيل التحديد ، ولكن بحسب ما يسر الله الوقوف عليه ، وربما كانت هناك وجوه أخرى ، فالله تعالى أعلم ، وانظر للاطلاع وجوه إعجاز القرآن الكريم العشرة كما ذكرها القرطبي رحمه الله في مقدمة كتابه «الجامع لأحكام القرآن» ، باب: ذكر نكت في إعجاز القرآن ، وشرائط المعجزة وحقيقتها.

[2] سورة الأنفال: ٣١ .

[3] انظر سورة الطور: ٣٤ .

[4] انظر سورة هود: ١٣ .

[5] انظر سورة البقرة: ٢٣ .

[6] سورة الإسراء: ٨٨ .

[7] وانظر أيضا ما قاله الشنقيطي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ (سورة يونس: ٣٧).

[8] أي في أول أمر نبوته.

ثم مع طول الزمان قد سمِعه الموافق والمخالِف ، والعرب والعجم ، وليس في الأمم من أظهر كتاباً يقرأه الناس وقال إنه مثله ، وهذا يعرفه كل أحد ، وما من كلام تكلم به الناس – وإن كان في أعلى طبقات الكلام لفظاً ومعنى – إلا وقد قال الناس نظيرَه وما يشبهه ويقاربه ، سواء كان شعراً أو خطابة أو كلاماً في العلوم والحكم والاستدلال والوعظ والرسائل وغير ذلك ، وما وُجِد من ذلك شئ إلا وَوُجِد ما يُشبهه ويُقاربه.

والقرآن مما يَعلم الناس عربهم وعجمهم أنه لم يوجد له نظير مع حرص العرب وغير العرب على معارضته ، فلفظُه آية ، ونظمُه آية ، وإخبارُه بالغيوب آية ، وأمرُه ونهيُه آية ، ووعدُه ووعيدُه آية ، وجلالتُه وعظمتُه وسلطانُه على القلوب آية ، وإذا تُرجم بغير العربي كانت معانيه آية ، كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم.[1]

ثانيا: أنه ليس فيه عوج لا من جهة الألفاظ ولا من جهة المعاني ، قال الشنقيطي رحمه الله في تعليق له على قوله تعالى ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾:

أي: لم يجعل فيه اعوجاجاً كائناً ما كان ، لا من جهة الألفاظ ولا من جهة المعاني ، فألفاظه في غاية الإعجاز والسلامة من العيوب والوصمات ، ومعانيه كلها في غاية الكمال ، أخباره صدق ، وأحكامه عدل ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً﴾ أي: صدقاً في الأخبار ، وعدلاً في الأحكام.[2]

ثالثا: حِفظه من التحريف على مر العصور والدهور ، ووجه الإعجاز أنه لم يُحفظ كتابٌ من الكتب السماوية كما حُفِظَ هذا الكتاب ، وصدق الله ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[3].

رابعا: حُسْنُ ما تضمنه القرآن من تشريع وأحكام ، تصلح لجميع البشر ولجميع الأزمنة والأمكنة ، وتشمل جميع ما يصلح العباد في دنياهم وآخرتهم ، في العقيدة والشريعة والآداب والاقتصاد والسياسة وغيرها.

خامسا: صِدقُ الأخبار التي تضمنها ، سواء التي مضت ، والتي تحصل تَبَعاً مع مرور الزمن أثناء تَنَزُّل القرآن ، أو الآيات التي فيها ذكر بعض الأمور المستقبلية ، **فأما الأخبار التي مضت** فهي كالإخبار عن خلق السماوات والأرض ، وقصة آدم وإبليس ، ثم قصص الأنبياء السابقين مع

---

[1] كتاب «النبوات» ، ص ٥١٥ – ٥١٧ .

[2] «الرحلة إلى أفريقيا» ، ص ١٨ .

[3] سورة الحجر: ٩ .

أقوامهم ، وقصة صاحب الجنتين ، وقصة أصحاب الكهف وذي القرنين ، وغيرها ، جاءت كل هذه الأخبار على لسان نبي أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة.

وتضمن القرآن كذلك ذكر بعض الأحكام الواردة في التوراة ، وبيان كتمان أحبار اليهود لها ، حتى تحداهم القرآن بقوله ﴿قل فأتوا بالتوراة إن كنتم صادقين﴾[1].

وأما الأخبار التي نزلت تَبَعًا مع التنزيل فكالآيات التي نزلت لكشف أحوال المنافقين ، والآيات التي فيها إجابة على أسئلة ، كالآيات التي تَصَدَّرها قولُه ﴿ويسألونك﴾ ونحوها.

وأما الأخبار المستقبلية التي وقعت مطابقة لما أخبر فكدخول المسجد الحرام ، وهي في آخر سورة الفتح.

وأيضا قوله تعالى ﴿سيُهزم الجمع ويولون الدبر﴾[2] ، فقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم أن عمر لما نزلت هذه الآية قال: أي جمع يُهزم؟

فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في الدرع ويقول ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.

وفي رواية لابن أبي حاتم: فعرفت تأويلها يومئذ.

وكذلك الآيات التي فيها تقرير عجز الناس عن أن يأتوا بآية مثل آيات القرآن ، فعجز الناس فعلا ، وكالآيات التي تقرر حفظ الله لكتابه ، كقوله تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ، فوقع الأمر كما أخبر ، فكم من ملحدٍ حاول ثم نكص على عقبيه ، وكالآيات التي تقرر حصول العزة والكرامة والسيادة والظهور للأمة الإسلامية إن استقامت على أمر الله ، فوقع الأمر كما أخبر الله في القرون الثلاثة المفضلة الأولى ، قال تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولَيمكنن لهم دينهم الذين ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾[3] ، ثم لما فشا فيهم الشرك والبدع ، والبعد عن منهج السلف الصالح في العقيدة والشريعة والسلوك ؛ صاروا في ذيل الأمم ، وتسلطت عليهم الأمم الأخرى قرونا من الزمن.

ومن دلائل صدق القرآن ؛ ما جاء فيه من ذكر بعض الأمور العلمية ، ثم لما ظهرت الاكتشافات العلمية الحديثة وقعت مطابقة لما أخبر ، فتكوين الإنسان في بطن أمه تحدثت عنه عدة آيات قرآنية

---

[1] سورة آل عمران: ٩٣ .

[2] سورة القمر: ٤٥ .

[3] سورة النور: ٥٥ .

قبل أربعة عشر قرنا ، بينما لم يَهتدِ علماءُ الطب إلى مراحل ذلك التكوين إلا في العقود المتأخرة من هذا الزمان.

وبيان ذلك أن القرآن الكريم بين أن حياة الإنسان تمر **بأربعة** مراحل ، فقال تعالى في مطلع سورة المؤمنون:

(ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين * ثم إنكم بعد ذلك لميتون * ثم إنكم يوم القيامة تبعثون).

فالمرحلة الأولى هي أصل الخلقة ، لما خلق الله أبانا آدم عليه السلام من طين ، وفي هذا يقول الله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين).

المرحلة الثانية هي مرحلة تكون الإنسان في بطن أمه ، وقد أشار القرآن الكريم إلى المراحل التدريجية لتكون الإنسان في بطن أمه ، وهي خمسة مراحل ؛ نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظام ثم لحم فوق العظام.

فقوله: (خلقنا النطفة علقة) أي دمًا أحمر.

وبعد أربعين يومًا تتحول العلقة إلى مضغة ، أي قطعة لحم قَدْر المضغة التي يمضغها الإنسان في فمه.

ثم تتحول المضغة اللينة وتتحول خلقتها إلى عظام.

ثم تُكسى العظام لحمًا ، ثم يُنشؤه الله خلقًا آخر بنفخ الروح فيه.

فتبارك الله الذي أحسن كل شيء خلقه.

والشاهد من هذا السَّرد لمراحل خلق الإنسان أن علم الطب الجديد اكتشف هذه المراحل كلها ، ثم تفاجأ بأنه هذه المراحل مذكورة في القرآن منذ ١٤ قرنا ، فاستدلوا من هذا على أن القرآن كلام الله ، لا يمكن أن يكون الذي أتى به بشر ، فسبحان من بهر بحكمته العقول.

وكذا الأمر بالنسبة لتكوين البحار والجبال وغيرها ، فقد جاء ذكر تكوينها الطبيعي في القرآن ، وبعد ظهور المكتشفات الحديثية وقعت مطابقة لما أخبر به القرآن.

وقد أُلِّفَت في هذا مؤلفات كثيرة ، وأسلم بسبب اكتشاف هذا التطابق عددٌ من علماء الطبيعة ، ومن أراد التوسع فليرجع إلى البحوث الصادرة عن هيئة الإعجاز العلمي التابعة لرابطة العالم

الإسلامي بمكة المكرمة ، وصدق الله ﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفورا﴾[١] .

سادسا: ومن دلائل إعجاز القرآن تنوُّع العلوم التي احتواها ، فعلاوة على أن القرآن الكريم قد علَّم العقيدة الصحيحة غضَّة طرية ، وهدم أساطير الخرافة والتعلق بالمخلوقات ؛ فإنه لم يقتصر على هذا ، فقد اغترف منه علماء النحو والبلاغة واللغة الشيءَ الكثير ، بل هو المعيار الأساس لضبط علومِهم.

ووجوه الإعجاز هذه كلها تدل على أن النبي ﷺ صادق فيما يُبَلِّـغُه عن ربه ، فإنه من المستقر المعلوم عند قومه أنه أُمِّيٌّ ، لا يقرأ ولا يكتب ، فمن أين سيأتي بكل هذه الأخبار القرآنية لولا أنه يُوحى إليه من ربه؟ قال تعالى ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون * بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بها إلا المبطلون﴾[٢] .

سابعا: ومن وجوه إعجاز القرآن تأثيره البليغ في النفوس ، سواء كانت نفوسا مؤمنة أو كافرة ، وصدق الله ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله﴾[٣] ، وقوله ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾[٤] .

وقد تأثر بالقرآن بعض صناديد الكفر من قريش ، ومن ذلك قصة الوليد بن المغيرة لما سمع القرآن ، فقد روى ابن جرير في «تفسيره»[٥] والحاكم في «مستدركه»[٦] واللفظ له عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم ، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا.

قال: لم؟

قال: ليعطوكَه ، فإنك أتيت محمدا لتَعرِض لما قِبَلَه.[٧]

---

[١] سورة الإسراء: ٨٩ .

[٢] سورة العنكبوت: ٤٨ – ٤٩ .

[٣] سورة الحشر: ٢١ .

[٤] سورة الزمر: ٢٣ .

[٥] تفسير سورة المدثر ، الآيات ١٨ – ٢٥ .

[٦] (٥٠٧/٢).

[٧] أي تعرِض نفسك عليه ليعطيك مالا ، فلهذا ذهبت إليه.

قال: قد علِمت قريش أني من أكثرها مالا.

قال: فقل فيه قولا يبلُغ قومك أنك منكرٌ له ، أو أنك كاره له.

قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برَجز ولا بقصيدة مني ، ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، ووالله إن لِقوله الذي يقول حلاوة وإن عليه لطُلاوة[1] ، وأنه لمثمرٌ أعلاه ، مُغدِقٌ[2] أسفله ، وإنه ليعلو وما يُعلى ، وإنه لَيَحْطِمُ ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه.

قال: فدعْني حتى أفكر.

فلما فكَّر قال: هذا سحر يؤثر ، يأثِره عن غيره[3] ، فنزلت ﴿ذرني ومن خلقت وحيدا﴾[4].

وأخرج ابن إسحاق في السيرة[5] والبيهقي في «الدلائل»[6] واللفظ له عن الزهري قال: حُدِّثتُ أن أبا جهل وأبا سفيان والأخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله ﷺ وهو يصلي بالليل في بيته ، وأخذ كل رجل منهم مجلسا ليستمع فيه ، وكل لا يعلم بمكان صاحبه ، فباتُوا يستمعون له ، حتى إذا أصبحوا وطلع الفجر تفرقوا ، فجمعهم الطريق ، فتلاوموا ، وقال بعضهم لبعض: (لا تعودوا ، فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا) ، ثم انصرفوا ، حتى إذا كان الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ، ثم انصرفوا فلما كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه ، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرقوا ، فجمعتهم الطريق ، فقالوا: (لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود) ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا ، فلما أصبح الأخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال: أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد.

فقال: يا أبا ثعلبة ، والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها.

قال الأخنس: وأنا ، والذي حلفت به.

---

[1] أي رونقا وحسنا ، وقد تُفتح الطاء. انظر «النهاية».

[2] الغدق هو الماء الكثير ، وفي التنزيل ﴿لأسقيناهم ماء غدقا﴾ ، والمقصود بالمغدق في الكلام هنا كثرة خيره. انظر «لسان العرب».

[3] أي يرويه عن غيره.

[4] سورة المدثر: ١١ .

[5] كتاب «السيرة» ، ص (١٦٩) ، تحقيق محمد حميد الله.

[6] باب جماع أبواب المبعث (٢/٢٠٦).

ثم خرج من عنده ، حتى أتى أبا جهل فقال: يا أبا الحكم ، ما رأيك فيما سمعت من محمد؟ قال: ماذا سمعت؟ تنازعنا نحن وبنو عبد مناف في الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا ، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان ؛ قالوا: (منا نبي يأتيه الوحي من السماء)! فمتى ندرك هذه؟ والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه ، فقام عنه الأخنس بن شريق. انتهى.

ولما سمع جبير بن مطعم رضي الله عنه رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾[١] ، وكان جبير يومئذ مشركًا ؛ قال : كاد قلبي أن يطير ، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي.[٢]

ولما كان القرآن يتصف بهذا التأثير البليغ في النفوس ؛ تعاهد الكفار ألا يستمعوا للقرآن ، قال تعالى عنهم ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾[٣] ، وما ذاك إلا لتأثيره نفوسهم ، وإحساسهم به في أعماقهم ، ولكنهم قوم يستكبرون عن سماع الحق.

وقد أثّرَ القرآن في بعض النصارى فآمنوا به ، قال تعالى عنهم ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبا مع الشاهدين﴾[٤] .

أما المؤمنون فتأثير القرآن فيهم واضح ، قال تعالى ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا﴾[٥] ، والكلام في هذا يطول ، وهو موجود في مظانه ، ويكفي في هذا ما ذكره جلال الدين السيوطي رحمه الله في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»[٦] ؛ أن جماعةً ماتوا عند سماع آيات من كتاب الله ، وقد أُفرِدت أسماؤهم في مصنف.

ثامنا: ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم ؛ كونه شفاء من الأمراض الحسية والمعنوية (أي النفسية) ، فأما الأمراض الحسية فقد حذر القرآن من جملة من المطعومات والمشروبات والسلوكيات على سبيل الوقاية من الأمراض ، ومن ذلك تحريم شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ، وارتكاب الزنا واللواط ، وكذا إتيان النساء في المحيض.

---

[١] سورة الطور: ٣٥ – ٣٧ .

[٢] رواه البخاري مفرقا ، (٤٨٥٣ ، ٤٠٢٣).

[٣] سورة فصلت: ٢٦ .

[٤] سورة المائدة: ٨٣ .

[٥] سورة الأنفال: ٢ .

[٦] باب: النوع الرابع والستون: في إعجاز القرآن.

وأما بعد الإصابة بالأمراض ؛ فقد أرشد النبي ﷺ إلى التداوي بقراءة سورة الفاتحة ، وأخبر أنها رقية ، كما أرشد القرآن إلى التداوي بالعسل ، ﴿فيه شفاء للناس﴾[1] .

وأما الأمراض النفسية ؛ فالقرآن هو أفضل الأدوية لها ، بل إن سبب هذه الأمراض هو البعد عن القرآن ، ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾[2] ، ومن تلك الأمراض القلق والاكتئاب والسحر والأخلاق الرديئة من طمع وكبر والانجراف وراء الشهوات وغير ذلك ، وذلك أن هذه الأمراض تحصل نتيجة الخواء الروحي ، وليس للخواء الروحي دواء إلا الرجوع إلى الله تعالى ، وصدق الله ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[3] ، ﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾[4] ، ﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين﴾[5] ، ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾[6].

وقد شفى الله بقراءة القرآن الألوفَ المؤلفة ممن أصيبوا بالأمراض العضوية والنفسية على مرِّ العصور ، ولا يزال هذا يُشاهدُ ويُمارسُ ، بل قد صار الاستشفاء بالقرآن مُقرَّرا في بعض العيادات النفسية.

تم البحث بحمد الله ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى جميع أنبياء الله ، وسلَّم تسليما كثيرا.

---

[1] سورة النحل: ٦٩ .

[2] سورة طه: ١٢٤ .

[3] سورة الرعد: ٢٨ .

[4] سورة الإسراء: ٨٢ .

[5] سورة يونس: ٥٧ .

[6] سورة فصلت: ٤٤ .